السنة العاشرة من النبوة

فيها خرج بنو هاشم من الشِّعب، واختلفوا في سبب خروجهم على أقوال:

أحدها: أن هشام بن عمرو بن الحارث من بني عامر بن لؤي، وكان أَوْصَلَ قُريش لبني هاشم حين كانوا في الشعب، كان يأتي بالبعير قد أَوْقَره طعاماً في الليل، فإذا جاء إلى الشِّعب، خلع خِطامه وضَربه على جنبيه، فيدخل الشعب، وعلمت به قريش فنهته فلم ينته، فقال أبو سفيان بن حرب: دعوه فإنه رجل وَصول رحمه، أما والله لو فعلنا ما فعل لكان أجمل بنا.

فمشى هشام إلى زهير بن أبي أمية بن المغيرة بن عبدالله بن مخزوم، وكانت أمه: عاتكة بنت عبد المطلب، فقال: يا زهير، أرضيت أن تأكل الطعام، وتشرب الشراب، وتلبس الثياب، [وأَخْوالك حيث قد علمتَ لا يُبايَعون]، ولا يناكحون، أما تستحي؟ فقال: ويحك، ما أصنع وأنا رجل واحد، أما والله لو كان معي رجل آخر، لقمت في نقضها. فقال: قد وجدته، قال: ومن هو؟ قال: أنا. قال: فابغنا ثالثاً. قال: أبو البَخْتَري بن هشام، قال: ابغنا رابعاً، قال زَمْعَة بن الأسود: قال: فابغنا خامساً، قال المُطْعِم بن عدي: قال: فاجتمعوا عند الحجُون، وتعاهدوا على القيام بنقض الصحيفة، قال زهير: أنا أبدأ بها، فجاوزوا إلى الكعبة وقريش مُحدِقة، فطاف زهير بالبيت سبعاً، ثم نادى: يا أهل مكة، إنَّا نأكل الطعام ونشرب الشراب ونلبس الثياب، وبنو هاشم هلكى، والله لا أقعد حتى نشق هذه الصحيفةَ القاطعة، فقال له أبو جهل: كذبت لا تُشَقُّ والله. فقال زَمْعَة بن الأسود: أنت والله أكذب، مارضينا حين كُتِبت. وقال أبو البَخْتَري: صدق زَمْعَة، لا نرضى ما كتب فيها، فقال المُطْعِم بن عدي: صدقتما وكذب من قال غير ذلك. فقال هشام بن عمرو: نتبرَّأ إلى الله منها، ومما كتب فيها.

فقال أبو جهل: هذا أمر قُضي بليلٍ وتُشوورَ فيه. وقام المُطْعِم بن عدي إلى الصحيفة ليشقها، فوجد الأَرَضة قد أكلت ما فيها من الظلم، ولم يبق إلا «باسمك اللهم»[1].

---

(١) انظر «السيرة» لابن هشام ٢/ ١٧-١٨، و«تاريخ الطبري» ٢/ ٣٤١، و«المنتظم» ٣/ ٤-٥، وما بين معكوفين منها.

فقال أبو طالب[١]: [من الطويل]

جزى الله رَهْطاً بالحَجون تَبايَعوا ... على مَلأٍ يهدي لحَزْم ويُرْشِدُ
أعان عليها كلُّ صقر كأنَّه ... إذا ما مشى في رَفْرفِ الدِّرعِ أحْرَدُ
قُعوداً لدى جنب الحَجون كأنَّهم ... مَقاولةٌ بل هم أَعزُّ وأمْجَدُ

قال: وأسلم هشام بن عمرو يوم الفتح.

والثاني: أن الله بعث الأَرَضَةَ فأكلت ما في الصحيفة من الجَوْر والظلم، وأبقت ما فيها من قوله: «باسمك اللهمَّ»، فأخبر رسول الله ﷺ أبا طالب، فقال: أحقاً ما تقول يا ابن أخي؟ فقال: نعم، أخبرني بذلك ربي. فأخبر أبو طالب أخوته وقال: والله ما كذبني قط. قالوا: فما ترى؟ قال: أرى أن نخرج إلى قريش فنخبرهم بذلك قبل أن يصلهم الخبر. فخرجوا من الشعب، فدخلوا المسجد، فلما رأتهم قريش، أنكروا ذلك، فناداهم أبو طالب: إنَّا قد جئناكم في أمر، فأجيبوا عنه، قالوا: وما هو؟ قال: أَخبرني ابن أخي، ولم يكذبني قط: أن الأَرَضَة قد أكلت ما فيها من الظلم والجور وقطيعة الرحم، ولم تتعرض لما كان من اسم الله تعالى، فإن كان ابن أخي صادقاً، فكفوا عنا، وإن كان كاذباً، دفعناه إليكم. فقالوا قد أنصفت، وجاؤوا بالصحيفة فلما فتحوها، وجدوا الأمر كما قال رسول الله ﷺ، فَسُقط في أيديهم، ونكَّسوا رؤوسهم. فقال لهم أبو طالب: هل تَبيَّن لكم ظلمكم وجَوْرُكم؟ فلم يجبه أحد، وانصرفوا. فلم يتعرض أحد بعدها لبني هاشم[٢].

والثالث: أن المُطْعِم بن عدي شرب ليلة فانتشى، فقال: من مثلي؟ فقال له عدي ابن قيس التميمي أو عتبة بن ربيعة: إن كنت كما تقول، فما بالُ بني عمك يموتون في الشِّعب جوعاً؟ فقام، فلبس سِلاحه، ولبس معه أبو البَخْتَري، وزهير بن أبي أمية، وهشام بن عمرو، ومَنْ سَمَّيْنا، وجاءوا إلى الشعب، وصاحوا بهم: اخرجوا على رغم

(١) الأبيات في «السيرة» ٢/ ٢٠، من ضمن أبيات.
(٢) انظر «الطبقات الكبرى» ١/ ١٧٨-١٧٩، و«دلائل النبوة» للبيهقي ٢/ ٣١٢، و«المنتظم» ٣/ ٣-٤.

قريش، فقال أبو طالب: إنا نخاف. فقال المطعم[١]: لا خوف عليكم بعد اليوم. فخرجوا.

وأقاموا في الشعب ثلاث سنين، وقيل: سنتين وأشهراً.

وفيها: خرج رسول الله ﷺ إلى الطائف يلتمس من ثقيف النُّصرة والمَنَعةَ له من قومه.

قال جُبير بن مُطعم: لما توفي أبو طالب، تناولت قريش رسول الله ﷺ، فخرج إلى الطائف في آخر شوال من هذه السنة، ومعه زيد بن حارثة[٢].

قال البلاذري: خرج لثلاث بقين من شوال سنة عشر من النبوة، وعاد إلى مكة يوم الثلاثاء لثلاث وعشرين ليلة خلت من ذي القعدة[٣].

وقيل: أقام عشرة أيام[٤]. والأول أصح.

قال الواقدي: لم يَدَعْ أحداً من أشرافهم إلا كَلَّمه، فلم يجبه أحد منهم، وخافوا على أَحداثهم منه، فقالوا له: اخرج عنا. وأغْرَوْا به سُفهاءهم، فرَمَوْهُ بالحجارة حتى أَدْمَوْه، وزيد بن حارثة رضي الله عنه يقيه بنفسه، حتى لقد شج في رأسه شجاجاً كثيرة[٥].

وقال كعب الأحبار[٦]: اجتمع النبي ﷺ بالطائف بسادات ثقيف وهم ثلاثة أخوة: عبد ياليل، ومسعود، وحبيب، أولاد عمرو بن عُمَير الثقفي، فدعاهم إلى الله تعالى، والقيام معه على إظهار الإسلام ومن خالفه من قومه، فقال له عبد يَالِيْل: هو يَمْرُطُ ثياب الكعبة إن كان الله أرسلك. وقال مسعود: أما وجد الله من يرسله غيرك؟ وقال له حبيب: إن كنت رسولاً كما تزعم، فلأنت أعظم خطراً من أن أرد عليك، وإن كنت

(١) في النسخ: أبو المطعم. انظر «أنساب الأشراف» ١/ ٢٧٢.
(٢) انظر «الطبقات الكبرى» ١/ ١٨٠، و«المنتظم» ٣/ ١٢.
(٣) أنساب الأشراف» ١/ ٢٧٣.
(٤) انظر «الطبقات الكبرى» ١/ ١٨٠، و«المنتظم» ٣/ ١٢.
(٥) انظر «الطبقات الكبرى» ١/ ١٨٠.
(٦) هكذا جاء في النسخ، والصواب: «محمد بن كعب القرظي» كما في المصادر.

كاذباً على الله، فما ينبغي أن أكلمك.

فقام رسول الله ﷺ وقد يئس من خير ثقيف، وأغْرَوا به عبيدَهم وصبيانَهم يسبُّونه ويصيحون عليه حتى اجتمع عليه الناس، وألجؤوه إلى حائط لعتبة وأخيه شيبة ابني ربيعة وهما فيه، فعمد إلى ظل حُبْلَةٍ، فجلس في ظلها وشيبة وعتبة ينظران إليه، ويريان ما يلقى من سفهاء ثقيف، فبكى رسول الله ﷺ وقال: «اللَّهم إِنِّي أَشْكُو إليكَ ضعفي وقِلَّة حِيلَتي وهَوَاني على النَّاس، [يا أرحم الرَّاحِمين، أنتَ ربُّ المُستَضعفين، وأنت ربِّي] فإلى مَن تَكِلُني، [إلى بَعيد يَتَجَهَّمني أم إلى عدوٍّ ملّكته أَمري] فإنْ لَم يَكُن منكَ عليَّ غضبٌ فلا أبالي [ولكن عافيتك هي أوسع لي]، أعوذ بنور وجهكَ الذي أشرقَت له السماواتُ، وأضاءت به الظلماتُ، وصلُح عليه أمر الدنيا والآخرة، من أَنْ يَنْزلَ بي غَضَبُك، أو يَحِلَّ عليّ سَخَطُك، [لك العُتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك] وهو ﷺ يبكي، فلما رأى ابنا ربيعة ذلك، تحركت له رَحِمُهما، فَدَعَوا غلاماً لهما يقال له: عَدَّاس، نصرانياً، فقالا: خذ قِطْفاً من العنب فضعه في طبق، واذهب به إلى ذلك القاعد، فضَعْه بين يديه، ففعل ذلك عَدّاس، فمد رسول الله ﷺ يده وقال: «بسمِ الله». وسمعه عدَّاس، فنظر إليه وقال: والله إن هذا كلامٌ ما يقوله أهل هذه البلاد، فقال له رسول الله ﷺ: «فمن أنت، وما دينُك؟» قال: نصراني، من أهل نينوى. قال: «من قَريةِ العَبدِ الصَّالح يُونُس بنِ مَتَّى» قال: نعم وما يدريك ما يونس؟ فقال: «ذاك أخي، كان نبيًّا، وأنا نبيٌّ». فأكبَّ عدَّاسٌ يقبّل يديه ورجليه، فقال عتبة لأخيه شيبة: أفسد عليك غلامك. فلما جاءهما، قالا له: ويحك، ما هذا؟ فقال: والله ما في الأرض رجل خير من هذا، لقد أخبرني بأمر لا يعلمه إلا الله أو نبي. فقالا: ويلك، لا يصرفك عن دينك، فدينك خير من دينه[1].

قالت عائشة رضي الله عنها: قلت: يا رسول الله، هل أتى عليك يوم أشد من يوم أحد؟

(١) انظر «السيرة» لابن هشام ٢/ ٤٧-٤٨، و«تاريخ الطبري» ٢/ ٣٤٤، و«المنتظم» ٣/ ١٣-١٥، وما بين معقوفتين زيادة من المصادر.

فقال: «يوم عَرَضتُ نَفسِي على عبدِ ياليْل بنِ عبد كُلَال عند العَقَبة، فلَم يُجبني إلى ما أردتُ، فانطَلَقتُ وأنا مَهْمومٌ على وَجْهي، فلَم أسْتَفِق إلَّا وأَنَا بقَرْنِ الثَّعالبِ، فرفعتُ رَأْسِي وإذا بسَحَابةٍ قد أَظَلَّتني وفيها جبريلُ، فَنَادانِي: يا محمدُ، إنَّ الله قد سَمِع قولَ قَومِكَ لك، وما رَدُّوا علَيك، وقد بَعَثَ إليكَ مَلَك الجِبالِ لتَأْمُره بما شِئْتَ فيهم. قال: فَسَلَّم عليَّ، وقال لي: إنْ شِئْتَ أطبقتُ عليهمُ الأَخْشَبَيْن. فقلت: بَل أرجو أن يَخرجَ مِن أصْلابِهم مَن يعبدُ اللهَ وَحْدَه، ولا يُشرِكُ به شَيئاً». أخرجاه في «الصحيحين»[(١)].

ولما عاد رسول الله ﷺ من الطائف، أقام بنخلةَ أيَّاماً، فمر به نفر من الجن وهو يصلي الفجر، فوقفوا فاستمعوا لقراءته، ثم ولوا إلى قومهم منذرين، وأنزل الله سورة الجن[(٢)].

وأول من تعوَّذ بالعرب من الجن قوم من اليمن، ثم بنو حنيفة، وفشا ذلك في العرب، كان إذا أمسى قوم في بريّة، يقولون: نَعوذ بسيِّد هذا الوادي من شرِّ سُفهاء قومه، فيبيتون في أمنٍ وجِوار.

[عن كَرْدَم بن أبي السَّائب الأنصاري قال: خرجت مع أبي] في حاجة وذلك في أول ما ذُكر رسول الله ﷺ بمكة، فآوانا المبيت إلى راعي غنم، فجاء ذئب فأخذ شاة أو حَمَلاً من الغَنَم، فوثب الراعي وقال: يا راعي الوادي، جارك، فنادى منادٍ لا نراه: يا سِرْحان، أرسله. فأتى الحَمَلُ يشتد حتى دخل الغنم، ولم يُصِبْهُ شيء[(٣)].

ذكر رجوع رسول الله ﷺ:

لما عزم رسول الله ﷺ على الدخول إلى مكة، قال له زيد بن حارثة ـ رضي الله عنه ـ: كيف تدخل على القوم بغير جوار، وقد أخرجوك، فأرسِل إلى من شئت فادخل في جواره. فمر به رجل من أهل مكة، فقال له رسول الله ﷺ: هل أنت مُبلِّغٌ عني رسالة؟ قال:

---

(١) صحيح البخاري (٣٢٣١)، و صحيح مسلم (١٧٩٥).

(٢) انظر «السيرة» لابن هشام ٢/ ٤٩.

(٣) أخرجه الطبراني في «الكبير» ١٩/ (٤٣٠)، وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٧/ ١٢٩ وقال: وفيه عبدالرحمن بن إسحاق الكوفي، وهو ضعيف. ومابين معكوفتين زيادة من معجم الطبراني.

نعم. قال: اِئت الأخنس بن شَريق، فقل له: يقول لك محمد بن عبدالله: هل أنت مُجيري حتى أُبَلِّغَ رسالاتِ ربي؟ فأتى الأَخْنس فأخبره، فقال له: قل له: إن الحليف لا يجير على الصريح. فأتى النبي ﷺ فأخبره. فقال له: اِئت سهيل بن عمرو، فقل له كذلك، فأتاه فقال سُهيل: إن بني عامر بن لؤي لا تجير على بني كعب، فقال: فائت المُطعم بن عدي، فأتاه، فقال: قل له قد أجرته، فليدخل. وأصبح المُطعم قد لبس سلاحه هو وبنوه وبنو أخيه وقومه، ودخلوا المسجد، فقال له أبو جهل: أمجير أم متابع؟ فقال: بل مجير. فقال: أجرنا من أجرت. ودخل رسول الله ﷺ المسجد، ومعه زيد بن حارثة رضي الله عنه، فطاف بالبيت، وصلى ركعتين، واستلم الركن، ونادى المطعم: يا معاشر قريش، قد أجرتُ محمداً. ثم طاف حوله هو وقومه وأهله حتى دخل النبي ﷺ [وكان النبي ﷺ] يرى ذلك للمطعم بن عدي وقومه، وأقام في جوار المطعم يبلغ رسالات ربه[1].

* * *

وفيها: تزوج رسول الله ﷺ بعائشة وسودة رضي الله عنهما بعد وفاة خديجة رضي الله عنها.

قال أبو سلمة: لما هَلكت خديجة، جاءت خولة بنت حكيم امرأة عثمان بن مَظْعون رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ، فقالت: يارسول الله، ألا تتزوج؟ فقال: «مَن»؟ قالت: إن شئت بكراً، وإن شئت ثيباً. قال: «فَمَنِ البِكْرُ»؟ قالت: بنت أبي بكر، أحب خلق الله إليك، وأما الثيب فَسَوْدة بنت زَمْعَة آمنت بك، واتَّبعتك على ما تقول. قال: «فَاذْهَبي فَاذْكُريهما عَليَّ». قالت: فدخلت بيت أبي بكر، فقلت: يا أم رُومان، ماذا أدخل الله عليكم من البركة والخير؟ قالت: وما ذاك؟ قلت: أرسلني إليكم رسول الله ﷺ أخطب عليه عائشة. فقالت: انتظري أبا بكر حتى يأتي. فجاء أبو بكر فأخبرته، فقال: وهل تصلح له، إنما هي ابنة أخيه؟ قالت: فأخبرت رسول الله ﷺ، فقال: «هو أخي في الإسلامِ، وابنته تحلُّ لي». قالت: فأخبرت أبا بكر، فقال: انتظريني، وخرج ـ وكان المطعم بن عدي قد ذكرها على ابنه، وما وعد أبو بكر أحداً فأخلفه ـ فدخل على

(١) انظر «الطبقات الكبرى» ١/ ١٨١ ، و«تاريخ الطبري» ٢/ ٣٤٧ ، و«المنتظم» ٣/ ١٥ . ومابين معقوفين زيادة يقتضيها السياق، وانظر «أنساب الأشراف» ١/ ٢٧٣ .

المطعم وعنده امرأته أم الفتى، فقالت له: يا ابن أبي قحافة، لعلك مُصْبِئٌ صاحبنا ومُدْخِلُه في دينك الذي أنت عليه إن تزوج إليك. فقال أبو بكر رضي الله عنه وأرضاه: أبقول هذه تقول؟ قال: إنها تقول ذاك. فخرج من عنده وقد أذهب الله من نفسه عِدَتَهُ التي وعده بها، وقال لخولة: ادع لي رسول الله ﷺ فدعته. فزوجها منه وعائشة رضي الله عنها يومئذ بنت ست سنين.

ثم خرجت خولةُ، فدخلت على سَوْدَةَ، فقالت لها: إن رسول الله ﷺ يخطبك، فقالت: ادخلي على أبي ـ وكان شيخاً كبيراً ـ فاذكري له ذلك، فدخلت عليه فحيَّته بتحية الجاهلية، فقال: من هذه؟ قالوا: خولة بنت حكيم. قال: فما شأنُك؟ قالت: أرسلني محمد بن عبدالله أخطب عليه سودة. فقال: كفؤ كريم، فما قالت صاحبتُكِ؟ قالت: قد أجابت إلى ذلك. فقال: ادعيها إلي، فدعتها. فقال: يا بنية أتحبين ما قالت خولة؟ قالت: نعم قال: فاذهبي، فادعيه لي. قالت: فدعوت رسول الله ﷺ فجاء، فزوجه إياها.

قالت خولة: وكان أخوها عبد الله بن زَمْعَة حاجّاً، فقدم فحثا التراب على رأسه، فقال بعد أن أسلم: إني لسفيه أحثي التراب على رأسي أن تزوج رسول الله ﷺ سودة بنت زمعة[1].

* * *

وفيها: قدم مكة سويد بن الصامت، وكانوا يسمونه: الكامل، لشرفه وحسبه وفضله. وهو القائل: [من الطويل]

أَلا رُبَّ من يُدعى صديقاً ولو ترى ... مقالته بالغيب ساءك ما يفري
يسرُّك باديه وتَحْتَ أديمه ... نميمةُ غِشٍّ تبتري عَقِبَ الظهر
تُبينُ لك العينانِ ما هو كاتمٌ ... وتُبْديهِ بالبغضاءِ والنظر الشَّزرِ
فَرِشْني بخير طالما قد بَرَيتني ... فخير الموالي من يريش ولا يبري[2]

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٥٧٦٩).

(٢) فَرِشْني: قوّني، بريتني: أضعفتني.

فتصدى له رسول الله ﷺ، ودعاه إلى الله. قال سويد: لعل الذي معك مثلُ الذي معي. فقال له رسول الله ﷺ: وما الذي معك ـ وكان فصيحاً ـ؟ فقال: معي مجلَّةُ لقمان ـ يعني حكمته ـ، وعرضها على رسول الله ﷺ، فقال: كلام حسن ولكن معي أفضل منه، قال: وماهو؟ قال: قرآن أنزله الله عليَّ، هُدى ونورٌ، وقرأ عليه منه، ودعاه إلى الله، فلم يبعد عنه، وقال: إن هذا لحسن. ثم انصرف إلى المدينة، فقتلته الخزرج في هذه السنة، وقيل: في يوم بُعاث[١].

وفيها: قدم قيس بن مالك الهمداني مكة، فلقي رسول الله ﷺ، فقال: إنما جئت لأؤمن بك ولأَنْصُرَك، فقال له رسول الله ﷺ: «مَرْحَباً بكَ، أَتَأخُذوني بما فِيَّ يا مَعاشِرَ هَمْدان؟» قال: نعم. قال: «فَاذْهَب إلى قَوْمِك، فإنْ فَعَلُوا، فَارْجِع إليَّ». فذهب قيس إلى قومه وأخبرهم الخبر، فأسلموا وقالوا: اذهب إلى رسول الله ﷺ وعرفه ذلك، فجاء إلى رسول الله ﷺ، فقال: يارسول الله، قد أسلموا وأمروني أن آخذك. فقال رسول الله ﷺ: «نِعْم وافدُ القومِ قَيْسٌ، وَفَّيتَ وفَّى الله لك» ومسح على ناصيته وكتب له عهده على همدان[٢].

فصل وفيها توفيت

خديجة بنت خويلد

ابن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب رضي الله عنها زوج النبي ﷺ، وكانت تُدْعى في الجاهلية: الطاهرة، وسيدة نساء قريش، وتكنى: أم هند، وأمها: فاطمة بنت زائدة بن الأصم، وأم فاطمة: هالة بنت عبد مناف بن الحارث بن سعد، وأم هالة: العَرِقة وهي قلابة بنت سعيد بن تميم بن لؤي بن غالب، وأمها: عاتكة بنت عبد العزى بن قصي، وأم عاتكة: الخُطَيَّا وهي رَيْطَةُ بنت كعب بن سعد بن تميم بن مُرَّة، وأمها: نائلة بنت حُذافة بن جُمَح.

نبذة من فضائلها:

كان رسول الله ﷺ يحترمها ويكرمها ويوادها، ويشاورها في أموره كلها، وكانت

(١) انظر «السيرة» لابن هشام ٢/ ٥٢-٥٣ ، و«تاريخ اليعقوبي» ٢/ ٣٧ ، و«تاريخ الطبري» ٢/ ٣٥١ .
(٢) انظر «الطبقات الكبرى» ١/ ٢٩٣-٢٩٤ .

وزيرة صدوق[١]، صاحبة عزم.

سئل الزهري: أنفقت خديجة على رسول الله ﷺ أربعين ألفاً؟ فقال: وأربعين ألفاً وكررها.

وقال علي عليه السلام: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «خَيْرُ نِسائِها مَرْيَمُ بنتُ عِمْرانَ، وخَيْرُ نِسائِها خَدِيْجَةُ بنتُ خُوَيْلِد». متفق عليه[٢]. أراد بالأول: نساء بني إسرائيل، وبالثاني: نساء هذه الأمة.

وفي المتفق عليه: عن إسماعيل بن أبي خالد قال: قلت لعبد الله ابن أبي أوفى: أكان رسول الله ﷺ بَشَّر خديجة ببيت في الجنة؟ قال: نعم، بَشَّرها ببيتٍ في الجنة من قَصَب لا صَخَب فيه ولا نَصَب[٣].

وفي المتفق عليه من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: ما غِرْتُ من أحدٍ من نِسَاءِ رسول الله ﷺ مثلَ ما غِرْتُ من خَديجَةَ، وما رأيتُها قطُّ، وتَزَوجني بعد مَوْتِها بثلاثِ سِنينَ، ولقد كانَ رسول الله ﷺ يُكْثِرُ ذكرها، وربما ذَبَح الشَّاة فَقَطعَها أعضاءً، ثم يَبْعَثُ بها إلى صَدَائقِ خَدِيجَةَ، فربما قلت له: كأن لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة فيقول: «إنَّها كانت وكانت وكان لي منها وَلَدٌ»[٤].

وفي المتفق عليه: أن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت يوماً: خُدَيِّجة ـ بالتصغير ـ فَزَجَرني وقال: «إنِّي رُزِقْتُ حُبَّها» فَأَذْكَرتني الغَيرةُ، فقلت: وهل كانت إلا عجوزاً قد أَخْلفَ الله لك خيراً منها، فغَضِبَ حتى اهْتَزَّ مقدَّمُ شَعرِه، وقال: «والله ما أَخْلَفَ لي خيراً منها، لَقَد آمَنَتْ بي إذْ كَفَر النَّاسُ، وصدَّقَتني إذْ كَذَّبني الناسُ، وآستني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله أولادها إذ حرمني أولاد النساء». قالت: فقلت في نفسي: والله لا أذكرها أبداً[٥].

---

(١) في (خ): «وكانت صدوقة».

(٢) صحيح البخاري (٣٤٣٢)، وصحيح مسلم (٢٤٣٠).

(٣) صحيح البخاري (٣٨١٩)، و صحيح مسلم (٢٤٣٣).

(٤) صحيح البخاري (٣٨١٨)، وصحيح مسلم (٢٤٣٥).

(٥) قوله ﷺ: «إني رزقت حبها» أخرجه مسلم (٢٤٣٥)(٧٥) ولم يخرجه البخاري، وقول عائشة: وهل كانت =

وفي المتفق عليه: عن عائشة رضي الله عنها قالت: استأْذَنَت على رسول الله ﷺ يوماً هالةُ أختُ خديجةَ، فارتاع لذلك، وقال: «اللهمَّ هالة بنت خُوَيْلِد» قالت: فغرت وقلت: ما تذكر من عجوز حَمراءِ الشِّدقَيْن، هَلَكت في الدَّهر، فزجرني[1]. وذكر بمعنى ما تقدم.

ذكر وفاتها رضي الله عنها:

اتفقوا على أنها توفيت في هذه السنة بعد وفاة أبي طالب.

قال الواقدي: عاشت بعده ثلاثة أيام.

وقال ابن إسحاق: شهراً وخمسة أيام.

وقال الهيثم: خمسة وخمسين يوماً، ولما توفيت كان لها خمس وستون سنة.

وقال البخاري: ماتت قبل الهجرة بثلاث سنين، ونزل رسول الله ﷺ في حفرتها، ولم تكن سُنَّت الجنازة يومئذ، ولا فرضت الصلوات الخمس، ودفنت بالحَجُون[2].

ذكر أولادها:

وهما قسمان من غير رسول الله ﷺ ومن رسول الله ﷺ فأما من غير رسول الله ﷺ فمنهم: هند وهالة.

وقال بعضهم: هما ذَكَران، وقال بعضهم: ذكر وأنثى، وهي: هند، وكانت تسمى ربيبة رسول الله ﷺ، وكانت تقول: أنا أكرم الناس أباً وأماً وأختاً وأخاً، وأبي رسول الله ﷺ، وأمي خديجة، وأختي فاطمة، وأخي القاسم.

أما أولادها من رسول الله ﷺ: القاسم وبه كان يكنى، مات قبل النبوة، وحزن عليه رسول الله ﷺ، ثم عبدالله، ولقبه الطاهر، ثم الطيب، وقيل: إنهما ولدا بعد

= إلا عجوزاً.. أخرجه البخاري ومسلم كما سيأتي في تخريج الحديث الآتي، وأخرج أحمد في «مسنده» (٢٤٨٦٤) عن عائشة قالت: كان النبي ﷺ إذا ذكر خديجة أثنى عليها فأحسن الثناء، قالت: فغرت يوماً فقلت: ما أكثر ما تذكر حمراء الشدق قد أبدلك الله بها خيراً منها.. وذكر تمام الحديث، وانظر «الجمع بين الصحيحين»(٣٢٢٣).

(١) صحيح البخاري (٣٨٢١)، وصحيح مسلم (٢٤٣٧).

(٢) انظر «الطبقات الكبرى» ١٠/ ١٩ ، و« مستدرك الحاكم » ٣/ ١٨٢ .

النبوة، وقيل: المُطَيَّب والمُطَهَّر.

وكانت تعق عن الغلام بشاتين، وعن الجارية بشاة.

والحاصل: أن في القاسم وعبدالله اتفاقاً، وفي الباقي خلاف[١].

فأما الإناث: فزينب، ورُقيّة، وأم كُلثوم، وفاطمة عليهن السلام.

وقد روت خديجة رضي الله عنها الحديث عن النبي ﷺ.

وفيها توفي

أبو طالب

قال ابن المسيب عن أبيه: لما احتضر أبو طالب، أتاه رسول الله ﷺ فوجد عند رأسه عبدالله بن أبي أمية، وأبا جهل بن هشام، فقال: «يا عَمِّ، قُل كلمةً أشهدُ لك بها عند الله غداً، قل لا إله إلَّا اللهُ». فقال له عبد الله وأبو جهل: يا أبا طالب، أترغب عن ملَّة عبد المطلب. فلم يزل رسول الله ﷺ يردد عليه، وهما يرددان عليه، حتى كان آخر كلمة قالها: أنا على ملَّة عبد المطلب ومات. فقال رسول الله ﷺ: لأستغفرن لك ما لم أُنْه عنك، فاستغفر له رسول الله ﷺ بعد موته وجعل المسلمون يستغفرون لموتاهم، حتى نزل قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾[٢] [التوبة: ١١٣].

وقال الواقدي: دعا أبو طالب بني عبد مناف، وبني المطلب، وبني هاشم عند وفاته، وقال: لن تزالوا بخير ماسمعتم من ابن أخي محمد، فاتبعوه، وأعينوه ترشدوا. فقال له رسول الله ﷺ: «أَتَأْمُرُهم بها، وتَدَعُها أَنتَ يَاعَمِّ»؟ فقال: يا ابن أخي، أما

(١) قال ابن حجر في «الفتح» ٧/ ١٧٢: المتفق عليه من أولاده منها القاسم وبه كان يكنى، مات صغيراً قبل المبعث أو بعده، وبناته الأربع: زينب ثم رقية ثم أم كلثوم ثم فاطمة، وقيل: كانت أم كلثوم أصغر من فاطمة. وعبد الله ولد بعد المبعث فكان يقال له: الطاهر والطيب، ويقال: هما أخوان له، وماتت الذكور صغاراً باتفاق.

(٢) أخرجه البخاري (١٣٦٠).

إنك لو سألتنيها وأنا صحيح لتابعتك على ما تقول، ولكن أكره أن يقال: جزع عند الموت، فترى قريش أني أخذتُها جَزَعاً، ورَدَدْتُها في صحتي. وفيه نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾[1][القصص: ٥٦].

وقال الشيخ موفق الدين رضي الله عنه في «الأنساب»: قد كان أبو طالب يقر بنبوة رسول الله ﷺ، وجاء ذلك في أشعار له منها قوله: [من الطويل]

ألا أبْلِغا عنِّي على ذات بيننا ... لؤيًّا وخُصَّا من لؤي بني كَعْبِ
بأنَّا وَجَدنا في الكتاب محمداً ... نبياً كموسى خُطَّ في أول الكُتْب
وأنَّ عليه في العِبَادِ محبَّةً ... ولا خير ممن خصَّه الله بالحُبّ

ومنها قوله أيضاً: [من الطويل]

تعلَّم خيار الناس أن محمداً ... وزير لموسى والمسيح بن مريم
أتى بالهُدى مِثلَ الذي أَتيا به ... فكلٌّ بأَمْرِ الله يَهدي ويعصِمُ
وأنَّكمُ تَتلُونَه في كتابكم ... بصدقِ حديث لا حديث المُترجَمِ
فلا تجعلوا لله نداً وأسلموا ... فإن طريقَ الحق ليس بمُظْلِمِ

ولكنه أبى أن يدين بذلك خشية العار[2].

وقال إسحاق بن عبدالله بن الحارث: قال العباس: يا رسول الله، عمك أبو طالب قد كان يكلؤك ويحوطك، فقال: «غَفَر اللهُ له وَرَحِمَه» فقال العباس: وإنك لترجو له، فقال: «إي والله، إنِّي لَأَرْجُو له كلَّ الخير من ربِّي»[3].

قال علي عليه السلام: لما توفي أبو طالب، أتيت النبي ﷺ، فقلت: إن عمك قد مات، فقال: «اذْهَب فَوَارِه، ولا تُحْدِثْ حَدَثاً حتى تَأْتِيني». ففعلت، وأتيته فدعا لي بدعوات ما يسرني بها حُمْر النعم[4].

(١) انظر «الطبقات الكبرى» ١/ ١٠١.
(٢) «التبيين في أنساب القرشيين»، ص١١٠-١١١، وانظر «السيرة» لابن هشام ٢/ ٤.
(٣) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» ١/ ١٠٣، وأحمد في «مسنده» (١٧٨٩).
(٤) أخرجه أحمد في «مسنده»(٨٠٧)، وابن سعد ١/ ١٠٢.

وقال ابن عباس: عارض رسول الله ﷺ جنازَة أبي طالب، فلما مرت به، بكى وقال: «وَصَلَتْكَ رَحِمٌ يا عمِّ، وجَزَاكَ اللهُ خيراً»[١].

وقال ابن إسحاق: رثاه علي ـ عليه السلام ـ بأبيات منها[٢]: [من الطويل]

أَرِقْتُ لطيرٍ آخِرَ الليلِ غرَّدا ... يذكِّرني شَجْواً عظيماً مجدَّدا
أبا طالبٍ مَأوى الضَّعاليك ذا النَّدى ... جوادٌ إذا ما أَصدر الناسُ أَوردا
فأمسَتْ قُريش يفرحون بموته ... ولستُ أَرى حيًّا يكون مُخَلَّدا
أرادوا أموراً زيَّنتها حُلومُهم ... ستُورِدُهم يوماً من الغَيّ مَورِدا
يُرَجُّون تكذيبَ النبي وقتلَه ... وأَن نفتَري قِدماً عليه ونَجْحدا
كَذَبتُم وبيتِ الله حتى نُذِيقَكم ... صدورَ العَوالي والحسامَ المهنَّدا
فإمَّا تُبيدونا وإما نُبيدُكم ... وإمَّا تَروْا سِلْمَ العشيرةِ أرشدا
وإلَّا فإن الحيَّ دون محمدٍ ... وأسرتِه خيرِ البريّةِ مَحْتِدا

قال الواقدي: أقام أبو طالب من سنة ثمان من مولد رسول الله ﷺ إلى السنة العاشرة من النبوة، ثلاثاً وأربعين سنة يحوطه، ويقوم بأمره، ويذبُّ عنه، ويلطف به، ويمنعه من الكفار[٣].

وقال عروة: ما زالوا كافِّين عن رسول الله ﷺ حتى مات أبو طالب ـ يعني قريشاً ـ[٤].

وقال الواقدي: أصاب أبا طالب يوم الفِجار سهم في قدمه، فكان يَخْمَعُ منه.

ذكر أولاده:

المشهور أنه كان له أربعة ذكور وأُنْثَيان.

فالذكور: طالب، وعقيل، وجعفر، وعلي رضي الله عنهم، وبين كل واحد وواحد عشر

---

(١) أخرجه ابن عدي في «الكامل» ١/ ٢٦٠، والبيهقي في «الدلائل» ٢/ ٣٤٩، وقال الذهبي في «الميزان» ١/ ٤٥: هذا خبر منكر.

(٢) الشعر في «تاريخ دمشق» ٦٦/ ٣٤٤.

(٣) انظر «الطبقات الكبرى» ١/ ٩٩.

(٤) انظر «الطبقات الكبرى» ١/ ١٠٣.

سنين، فطالب أسَنُّهم، ثم عقيل، ثم جعفر رضي الله عنه، ثم علي ـ عليه السلام ـ وهو أصغرهم.

فأما طالب: فكنيته أبو زيد، وكان أبو طالب يُكْنى به، وكان عالماً بالأنساب[١] من قريش والعرب، عارفاً بأيام الجاهلية، أخرجه المشركون يوم بدر لقتال رسول الله ﷺ مكرهاً، فقال: [من الرجز]

لا هــم إمّــا يَــغْــزُوَنَّ طــالِــبْ فــي مِـقْـنَـب مـن هـذه الـمَـقَـانِـبْ

فـلـيـكـن الـمـغـلـوبَ غـيـرَ الـغَـالِـب ولْـيَـكـن الـمَـسْـلُـوبَ غـيـرَ الـسَّـالِـبْ

فلما انهزم الكفار يوم بدر، طُلب طالبٌ فلم يوجد في القتلى، ولا في الأسرى، ولا رجع إلى مكة، ولا يُدرى ما أصابه، وليس له عقب[٢].

وأما عقيل فأُخرج أيضاً يوم بدر وأُسر، ولم يكن له مال، ففداه العباس، ثم رجع إلى مكة، فأقام بها إلى سنة ثمانٍ من الهجرة، ثم هاجر إلى المدينة، فشهد غزاةَ مؤتةَ مع أخيه جعفر ـ رضي الله عنهما ـ، وأصاب في ذلك الوجه خاتماً من ذهب عليه تماثيل، فنفَّله رسول الله ﷺ إياه[٣]. وهو الذي قال فيه رسول الله ﷺ: «وهَل تَرَكَ لنا عَقيلٌ مِن مَنزِلٍ»[٤].

وكان طالب وعقيل قد ورثا أبا طالب، ولم يرثْه جعفر وعلي رضي الله عنهما[٥].

وتوفي عقيل سنة خمسين من الهجرة، وسنذكره.

وأما جعفر وعلي رضي الله عنهما فسنذكرهما فيما بعد إن شاء الله تعالى.

وأما البنات: فالمشهور ابنتان: أم هانئ وجُمانَة، واسم أم هانئ: هند، وقيل: ريطة. وفاختة، وقيل: جَعْدة، وهرب زوجها هُبيرة بن أبي وهب المخزومي يوم الفتح إلى نَجران، وكانت قد أجارته، وأجاره رسول الله ﷺ.

---

(١) في «الطبقات الكبرى» أن عقيل بن أبي طالب هو العالم بالنسب، وكنيته أبو يزيد، انظر «نسب القرشيين» ص١١٠-١١١ ، ولم نقف على كنية لطالب هذا.

(٢) انظر «السيرة» لابن هشام ٢/ ١٩١ ، و«الطبقات الكبرى» ١/ ٩٩-١٠٠ .

(٣) انظر الطبقات الكبرى ٤/ ٤٠.

(٤) أخرجه البخاري (٣٠٥٨)، ومسلم (١٣٥١) من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه.

(٥) أخرجه مسلم بعد (١٣٥١).

قال وقد بلغه إسلام أم هانئ يوم الفتح[١]:

أشاقَتْكَ هندٌ أم أتاكَ سُؤالُها ... كَذاكَ النَّوَى أَسْبابُها وَانْتِقالُها
وَقَد أَرَّقَتْ في رَأسِ حِصْنٍ مُمَنَّعٍ ... بِنَجْران يَسْرِي بعدَ نومٍ خَيالُها
فإن كُنتِ قد تابعتِ دين محمَّدٍ ... وقَطَّعَتِ الأرحامُ منك حبالَها
فكُوني على أعلى سَحُوقٍ بهَضْبةٍ ... مُلَمْلَمَةٍ حمراءَ يَبْسٍ بِلالُها

وأما جُمَانة فتزوجها أبو سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب، فولدت له جعفراً، وهاجرت إلى المدينة، وأطعمها رسول الله ﷺ بخيبر ثلاثين وَسْقاً من تمر[٢]، وتوفيت في حياة رسول الله ﷺ.

وكل أولاد أبي طالب من فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف[٣].

وذكر الواقدي: أنه كان لأبي طالب ابنة أخرى اسمها: رَيْطَة، ويقال لها: أم طالب[٤].

وذكر الواقدي: وبلغنا أنه كان لأبي طالب ابن اسمه: طليق، واسم أمه وَعْلة[٥].

وقد روى أبو طالب عن رسول الله ﷺ حديثاً أخرجه الشيخ جمال الدين بن الجوزي في «جامع الأسانيد»، ورفعه إلى محمد بن الحنفية، عن عروة بن عمرو الثقفي قال: سمعت أبا طالب يقول: سمعت ابن أخي الأمين يقول: «اُشكُر ترزقْ، ولا تكفر فتعذَّبْ»[٦].

* * *

(١) الأبيات في السيرة ٢/ ٤٢٠، ونسب قريش ٣٤٤.
(٢) انظر «الطبقات الكبرى» ١٠/ ٤٨ .
(٣) انظر التبيين ص١١١ .
(٤) انظر «الطبقات الكبرى» ١٠/ ٤٨ ، و«الإصابة» ٤/ ٣١٠ .
(٥) جاء في (خ): «طلق، وقيل اسمه وعلة»! وانظر «الطبقات الكبرى» ١/ ١٠٠. وفيه: «عله» بدل «وعله».
(٦) أورده السخاوي في «فتح المغيث» ٢/ ١٣٣ ، وقال: لا يصح.